

## ميادين علم الاجتماع

لقد تطور علم الاجتماع تطوراً كبيراً مما يساعد على تعدد فروعه وميادينه حتى يبدو أن جميع أجزاء الحياة الاجتماعية متصلة اتصالاً وثيقاً ويتوقف بعضها على البعض الآخر وأن أي تغيير يحدث في جزء منها لابد وأن يؤثر على الأجزاء الأخرى.

وأهم الفروع التي انبثقت من علم الاجتماع ما يلي :

١- علم الاجتماع العام: ويبحث في موضوع العلم ونظرياته المختلفة وطرق دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية مبيناً الشروط والقواعد التي يجب مراعاتها في المنهج العملي والتي تؤدي بنا إلى الدراسة الموضوعية الواقعية للظواهر الاجتماعية المختلفة ويهتم بتصنيف الجماعات التي يتكون منها المجتمع أملاً في استخلاص القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية.

٢- علم الاجتماع الاسري: ويدرس الاسرة وما يتصل بها من ظواهر ونظم

٣- علم الاجتماع الثقافي: ويدرس الثقافات ومدى انتشارها وعناصرها ومظاهر تخلفها

٤- علم الاجتماع التربوي: ويهتم بدراسة البناء الاجتماعي للنظم التربوية المختلفة.

٥- علم الاجتماع القضائي: ويهتم بدراسة النظم القضائية وتأثيرها على الخروج عن القانون.

٦- علم الاجتماع النفسي: ويهتم بدراسة الزعامة ومقوماتها واتجاهات الرأي العام والقوى المؤثرة في الجماهير.

٧- علم الاجتماع الأخلاقي: ويهتم بدراسة النظم الاخلاقية في المجتمع.

٨- علم الاجتماع الديني: ويدرس الدين كنظام اجتماعي له معتقدات وطقوس وعبادات وتأثير ذلك كله على حياة الافراد ونظمهم الاجتماعية.

٩- علم الاجتماع الجمالي: ويدرس مظاهر الفن والفلكلور والتراث الشعبي والابداع والتذوق الجمالي في المجتمع.

١٠- علم الاجتماع السياسي: ويدرس النظم السياسية المختلفة ومدى تأثيرها على النظم الاجتماعية الأخرى، الأصول الاجتماعية للعمليات السياسية.

- ١١- علم الاجتماع الاقتصادي: ويدرس الظواهر والنظم الاقتصادية في المجتمع ومدى تأثيرها على المسائل الاجتماعية وأثر توزيع الثروة على نظام الطبقات الاجتماعية في المجتمع.
- ١٢- علم الاجتماع الصناعي: ويدرس التصنيع ومقوماته ومشكلاته وآثاره على تقدم المجتمع.
- ١٣- علم الاجتماع الريفي: ويدرس الريف ومشكلاته وبرامج التنمية الاقتصادية والانعاش الاجتماعي وطرق الارتقاء بحياة الريفيين.
- ١٤- علم الاجتماع الحضري: ويهتم بدراسة المدينة ونموها ومبلغ تأديتها لوظائفها وبرامج التخطيط والاصلاح الحضري.
- ١٥- علم الاجتماع التطبيقي: ويهتم بدراسة القوانين الاجتماعية في الاصلاح الاجتماعي ومعالجة أوجه الضعف والقصور من شؤون المجتمع.
- ١٦- علم اجتماع المهن: ويهتم بدراسة العمل والمهن وما يتصل بها من الوظائف والادوار الاجتماعية المختلفة وعلاقة كل ذلك بالبناء الاجتماعي.
- ١٧- علم الاجتماع التربوي: ويهتم بدراسة الادب من حيث نشأته وتطوره وانتقال التراث الادبي بين المجتمعات على مر العصور.

### **المبحث الرابع: علاقة علم الاجتماع بالعلوم الاجتماعية الأخرى**

أن العلوم التي تتناول الانسان وانجازاته قد تكشف عن ملامح متميزة عديدة بحيث تجعل من اليسير إقامة تفرقة بينهم، فالعلوم الانسانية هي التي تتخصص في دراسة ظواهر الانسان فقط دون الظواهر الطبيعية، وعلم الاجتماع يعتبر من أبرز العلوم الاجتماعية لانه يدرس التجمعات الانسانية، وهو في نفس الوقت يرتبط بموضوعاته. ويمكن اعتبار العديد من الإسهامات الهامة في ميدان الفلسفة الغربية بمثابة إسهامات حقيقية في ميدان علم الاجتماع ابتداء من القرن السابع عشر. ثم ظهرت مصطلحات عديدة بعد ذلك كبديل عن مصطلح "علم الاجتماع" مثل السياسة، والاقتصاد الاجتماعي، والفلسفة الاجتماعية، والعلوم الاجتماعية. فإقامة حدود معينة لنطاق علم الاجتماع قد تكون مسألة صعبة، إذ أن ذلك معناه استبعاد عالم الاجتماع للنظم التي قد لا تدخل في نطاق علم الاجتماع بمعناه المحدود. وهذا يمثل حرص على دراسة النظم ذات الأهمية الخاصة، وليس تمبيعاً لحدود العلم.

والواقع أن انفتاح مجال الدراسة في علم الاجتماع واستعداده لقبول ميادين جديدة للدراسة، إنما ينشأ عن اهتمام عالم الاجتماع بأنساق الفعل الاجتماعي والعلاقات المتبادلة

بينهما. ومن الضروري أن يؤدي ذلك إلى معالجة علم الاجتماع لكل جوانب الحياة الاجتماعية سواء كانت هذه الجوانب متعلقة بالمجال الضيق لهذا العلم أم متعلقة بمجالات علوم إنسانية أخرى. لذلك فإن علينا أن نتوجه إلى كل علم من العلوم الإنسانية لنوجه إليه طائفة من التساؤلات مثل : هل يتناول هذا العلم قضايا حاسمة ؟ وهل هناك منهج معين يمكن بواسطته التعرف على القضايا موضوع الدراسة ؟ هل يؤدي هذا المنهج إلى التوصل إلى حقائق ذات معنى ؟ وهل يمكن تجميع هذه الحقائق وصياغة استنتاجات أو تعميمات يمكن أن تزيد المعرفة التي لدينا ؟ وهل يمكن أن تؤدي هذه الاستنتاجات إلى ظهور قضايا جديدة يمكن أن تقودنا إلى بذل مزيد من الجهد لفهم الإنسان ونشاطاته ؟<sup>(١)</sup>.

وهذا ما سنحاول أن نعرض له بالتفصيل من خلال تداخل علم الاجتماع وتكامله مع عدد من العلوم الأخرى بهدف دراسة المجتمع وتحقيق رفاهية أفراده.

### **علم الاجتماع والعلوم المرتبطة به**

إذا كان كل علم من العلوم الإنسانية يدرس جانباً أو أكثر من جوانب الإنسان أو المجتمع، فإن علم الاجتماع يدرس المجتمع ككل في ثباته وتغيره، ويدرس الإنسان من خلال علاقته بالمجتمع، أي أنه أكثر شمولاً من أي من العلوم الإنسانية. وليس معنى ذلك أن دراسة كل العلوم تعادل دراسة علم الاجتماع، ذلك لأن الواقع الإنساني ليس مجرد جمع بسيط لأجزائه، ويمكن أن يدرس كل علم من العلوم الإنسانية جانباً من الإنسان والمجتمع، كالاقتصاد وعلم النفس.. الخ. أما علم الاجتماع فيدرس حصاد تفاعل العلاقات بين هذه الجوانب من ناحية وبينها وبين الإنسان من ناحية ثانية. وإذا كانت دراسات العلوم الأخرى لا تغني عن دراسات علم الاجتماع، بل تفيد منها، فبنفس القدر لا تغني دراسات علم الاجتماع عن هذه العلوم، بل هي تفيد منها وتعمق من نتائجها، مما يساعد في النهاية على إقامة وحدة فكرية شاملة حول الإنسان والمجتمع، ماضياً، وحاضراً، وتوجهاً نحو مستقبل مقصود ومرغوب فيه.

مما سبق، نجد أن اهتمام علم الاجتماع الأساسي ينصب على البنية الاجتماعية Social Structure ككل، وما تحويه هذه البنية من مكونات، وما يحدث بينها من علاقات وتناقضات، وما يطرأ عليها من تطورات وتغيرات. ذلك لأن ما يميز هذا العلم عن غيره من العلوم؛ هو أنه يعني بما هو عام، وما هو اجتماعي، وما هو مطرد وما هو ضروري، ولإدراك العلاقات الجدلية بينها جميعاً، وبين الخاص والفردى والطارئ. فهو يدرس هذه الجوانب الأخيرة بالقدر الذي يساعده على فهم الأول وتحليلها وتفسيرها، ومحاولات التنبؤ بها<sup>(٢)</sup>.

ولعل أول ما يمكن أن يقال أن أية محاولة للتمييز بين علم الاجتماع والعلوم الأخرى إنما هي محاولة تتطوي على غير قليل من التعسف والغموض، فبتقدم المعرفة وتغير اتجاهات البحوث، أصبحت محاولات تعريف العلوم الاجتماعية المختلفة عسيرة إلى أبعد الحدود. ولقد قال

جوزيف شواب Schwab - وهو فيلسوف ومؤرخ للعلوم - فى معرض تناوله لهذه المشكلة من منظور تاريخى : « قد يقلل عالم معين من أهمية علم من العلوم، وقد يرفضه فى وقت آخر، ثم ما يلبث هذا العلم أن يصبح لدى هذا العالم مفيداً للغاية ». ومع ذلك فإن العلوم التي تتناول الإنسان وإنجازاته قد تكشف عن ملامح متميزة عديدة، بحيث تجعل من اليسير إقامة تفرقة بينها . ومن بين الأسئلة الحاسمة التي يمكن أن تعيننا على التمييز بين هذه العلوم : ما إذا كانت (أي العلوم) تتناول الأبعاد المختلفة للظاهرة أم أنها تركز على جانب واحد من جوانب الحياة الاجتماعية. وما إذا كانت تهتم مباشرة بملاحظة السلوك، أم أنها تركز على بيانات أخرى غير تلك المتعلقة بمجالات الحياة اليومية، وما إذا كانت تسعى إلى تحقيق هدف أساسى هو التوصل إلى نظرية مجردة أو تعميمات دقيقة، أم أنها تكتفي بوصف الظواهر المباشرة أو الملموسة، وما إذا كانت تهتم بالقياس والمعالجة الرياضية للبيانات أم أنها تفضل الملاحظة المباشرة وما يتطلبه ذلك من فهم علاجي أو تعاطفي للسلوك الإنساني، ولما كانت هذه الأسئلة تكاد تنطبق على كل العلوم، فإننا لا نجد مبرراً لمعالجتها معالجة مستفيضة (٣).

ويجدر بنا أن نلاحظ قبل كل شئ أن الظواهر الاجتماعية المختلفة لا توجد من تلقاء ذاتها، فالإقتصاد أو اللغة، التكتيك أو الفن، الأسرة أو الأخلاق ليست إلا جوانب متفرقة مختلفة لحياة الناس الاجتماعية. وإن الناس أنفسهم هم الذين يخلقون العلاقات الاقتصادية، وهم مبدعو وناشرو اللغة.. الخ. وهذا يعنى أولاً: أن الحدود بين الظواهر الاجتماعية المختلفة، وبالتالي بين العلوم التي تدرسها ليست مطلقة بل نسبية، وهذا لا ينفي وجود هذه الحدود. ويعنى ثانياً: أنه مهما تعمقت العلوم الاجتماعية فى جوهر الظواهر الاجتماعية المختلفة، ومهما أعطانا علم التكتيك والإقتصاد السياسي والتاريخ ونظرية الدولة وتاريخ الفلسفة وتاريخ العلاقات الدولية وتاريخ العلم صورة مفصلة عن تطور التكتيك والإقتصاد والدولة والفلسفة والعلاقات الدولية والعلم.. وغيرها، فإن هذه الصورة لا تعدو كونها معرفة لجوانب الحياة الاجتماعية وظواهرها المتفرقة. إن مهمة علم الاجتماع، بخلاف العلوم الاجتماعية التشخيصية التي تؤلف مواضيعها الظواهر الاجتماعية المحدودة نسبياً والمتفرقة هي معرفة المجتمع ككل، والتأثير المتبادل بين كل جوانبه، وتوضح الدور الذى تقوم به الظواهر الاجتماعية المختلفة التي تتبادل فيما بينها ذلك التأثير (٤).

والملاحظ أن هناك جدل أكاديمي حول المكانة العلمية للكثير من العلوم الاجتماعية مثل علم الاجتماع، علم السياسة، علم النفس الاجتماعي، الإقتصاد، الأنثروبولوجيا، وبعض المجالات الأخرى مثل الجغرافيا، التاريخ، وعلوم الاتصال، فى ظل طرح سؤال عام مفاده هل يمكن دراسة السلوك الإنساني دراسة علمية ؟ ولا يوافق معظم الأكاديميون على إطلاق مصطلح " علم Science " على هذه المجالات.

وعليه تتعرض العلوم الاجتماعية لهجوم ضار من مصادر متعددة والركيزة الأساسية لهذا الهجوم تأتي من الزعم بتعذر تطبيق مناهج البحث العلمى بما تستند إليه من مسلمات وخصائص وإجراءات على ظواهر وموضوعات الدراسة فى هذه العلوم.

إذن الهجوم مرتبط بالمنهج وما نود التأكيد عليه هو أن السلوك الاجتماعى للإنسان يمكن إخضاعه للدراسة العلمية المنهجية المنضبطة مثله فى ذلك مثل الذرة فى العلوم الفيزيائية والخلايا فى العلوم البيولوجية.. الخ. ويقتضى ذلك إعادة تعريف " العلم " ووصف منطق البحث العلمى الاجتماعى وتحديد علاقته ببنية النظريات العلمية الاجتماعية وكيفية الوصول إلى النظريات السوسولوجية<sup>(٥)</sup>.

ويبدو من المنطقي طالما أن العلوم الاجتماعية تهدف أو تركز على توضيح أسباب السلوك الاجتماعى للإنسان أن نوجه للعلماء سؤال بسيط، لماذا تقومون ببحوث ودراسات علمية فى مجال العلوم الاجتماعية؟ البحوث العلمية الاجتماعية تنطلق من نظريات سوسولوجية معينة، على سبيل المثال يعد تالكوت بارسونز واحد من ألمع علماء الاجتماع المعاصر وقد سيطرت عليه رغبة جامحة طوال حياته لصياغة نظرية عامة تصلح لتفسير ظواهر وقضايا علم الاجتماع قريبة أو مماثلة لنظرية المجال فى الفيزياء. ونجح فى إقامة تفسيره للنظام الاجتماعى Social System استناداً إلى عناصر ومفاهيم أساسية مثل الفعل Action، والموقف Situation، نسج فى إطارها نظم الثقافة والشخصية والنظام الاجتماعى. وأحد مكونات نظرية بارسونز للفعل الاجتماعى ما يعرف بمتغيرات النسق Pattern Variables ويقصد بها المعايير والموجهات العامة التى تحكم سلوك الإنسان فى مختلف مواقف الحياة. وقد تحدث بارسونز على سبيل المثال عن الموجهات العامة أو الكلية فى مقابل الموجهات الجزئية أو الخاصة التى تنطبق على مختلف الأدوار والمواقف الاجتماعية، خاصة المواقف التى قد حدث فيها تصادم بين تأثير المعايير والموجهات العامة أو الكلية وتأثير المعايير والموجهات الخاصة أو الجزئية على السلوك الإنسانى، افترض أنك تعمل ضابط وفى إحدى الدوريات الليلية اكتشفت أن ابنك سطا على متجر معين، ستجد أن واجبك أو دورك كضابط يستدعى منك استجابة عامة محددة مسبقاً، بينما دورك كأب يجعلك فى صراع فى ظل ما يعرف بالمعايير الخاصة أو الجزئية.

وبالنظر إلى الأمثلة السابقة يمكن القول بأن الحياة الاجتماعية تتضمن مواقف يكون من المناسب فيها سيطرة المعايير الكلية أو العامة على سلوك الإنسان، ومواقف أخرى يكون من المناسب سيطرة المعايير الخاصة أو الجزئية على سلوك الإنسان، وتتضمن الحياة الاجتماعية أيضاً الطرق التى نواجهه أو نتوافق بها مع الغموض والصراعات التى عادة ما تواجه الإنسان نتيجة التعارض بين المعايير العامة والمعايير الخاصة<sup>(٦)</sup>.

من هنا تتضح أهمية علاقة علم الاجتماع بالعلوم الاجتماعية الأخرى التي يركز كل منها على جانب أو أكثر من جوانب الحياة. حيث تهتم العلوم الاجتماعية بدراسة نشاط الأفراد باعتبارهم أعضاء في جماعة، وجميعها تشترك في هذا التعريف، ولكنها تختلف في زاوية اهتمامها ووجهة نظر الباحث في كل منها. ففي علم السياسة مثلاً ننظر إلى الفرد باعتباره في الدولة، وفي علم الاقتصاد تهتم بنشاط الفرد المتعلق بالإنتاج وتوزيع الثروة. أما في علم الاجتماع فإن اهتمامنا بالعلاقات الاجتماعية قد جعل لهذا العلم ميدانه الخاص الذي يختلف عن كونه مجرد مزيج من مختلف العلوم الأخرى. فسلوك الفرد مثلاً هو موضوع من مواضيع علم النفس، وهو أيضاً موضوع من مواضيع علم الاجتماع، ولكننا في هذا العلم الأخير نهتم بما لهذا السلوك من معنى لدى الأفراد تجاه الآخرين وبما للآخرين من نظرة حيال هؤلاء الأفراد، وبتعبير أدق، في علم الاجتماع نهتم بنظرة الفرد للمجتمع، ونظرة المجتمع للفرد، تاركين الاهتمام بدوافع السلوك لعلماء النفس وحدهم.